محاضرة رقم ١٢	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	البنى التحتية والبني الفوقية (نظرية القاعدة والهرم)
العنوان باللغة الانجليزية	Infrastructure and superstructures (rule-pyramid theory)
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : الثانية عشر

البنى التحتية والبني الفوقية (نظرية القاعدة والهرم) :-

بحسب النظرية الماركسية، يتكون المجتمع البشري من بنيتين أساسيتين هما : البنية التحتية والبنية الفوقية . تضم البنية التحتية القوى وعلاقات الإنتاج (ظروف العمل ورب العمل والعمال، تقسيم العمل وعلاقات الملكية التي يدخلها الناس لإنتاج ضروريات الحياة وكمالياتها) . أما البنية الفوقية للمجتمع تشمل الثقافة, المؤسسات، بنى السلطة السياسية، الأدوار الاجتماعية، الطقوس، والدولة.

غالباً ما تحدد البنية التحتية البنية الفوقية، لكن علاقتها ليست سببية تماماً، لأن البنية الفوقية غالبا ما تؤثر على البنية التحتية، إلا أن تأثير البنية التحتية هو الأهم.

لقد عدت الماركسية البنية الاقتصادية للمجتمع وما يمثلها من طراز انتاج الحياة المادية كالملكية لوسائل الانتاج والتوزيع والتبادل وغيرها من وسائل مادية بمثابة (القاعدة) أو البنية التحتية او الأساس. أما (الهرم) او البنية الفوقية فتتضمن مختلف الأفكار والمؤسسات كالنظريات السياسية والأحزاب

السياسية والدولة والتشريع والأخلاق والفن والفلسفة والدين وغيرها . وعبر التاريخ كانت (القاعدة) هي التي تعكس وتحدد طبيعة وشكل (الهرم) . ومع أن العلاقة بين القاعدة والهرم داخل الحياة الاجتماعية ليست بسيطة أو الية. الا أن القاسم المشترك بينهما هو ارتباط (الصراع السياسي – الايديولوجي) بـــ (الصراع الطبقي) . ومع أن الماركسية قد أقرت اولوية واهمية عامل الانتاج والوضع الاقتصادي أساسا لتقرير مجرى التاريخ وتفسيره إلا أنّ (انجلز) وغيره من دعاة الماركسية قد أقروا تأثير بعض البني الفوقية ، كالنظريات السياسية والقانونية والفلسفية وبعض الآراء الدينية على الصراعات او الاحداث التاريخية .

يؤكد ماركس أن الشروط المادية هي التي تحدد نمط الحياة الفكرية والروحية والفنية، وأن تطور التاريخ قائم بناءً على هذه الأسس والشروط المادية، وعليه فإن البنية التحتية عند ماركس هي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهي أساس البناء وقواعده، وعليها ترتكز وتعتمد البنية الفوقية، وهي الثقافة والفن والدين والفكر، فمثلا فكر أو فلسفة أحدهم محكومة بظروفه الاقتصادية والاجتماعية والإنتاج.

ولكن تأثير البنى التحتية على البنى الفوقية ليس تأثيرا ميكانيكاً ذو مسار واحد، إنما هو تأثير جدلي ديالكتيكي، أي أن كلاهما يؤثر في الآخر. والبنى التحتية عند ماركس لها ثلاث مستويات :

– الأول: ظروف الإنتاج وأهمها الجغرافيا والمواد الأولية.

– الثاني: وسائل الإنتاج وهي الآلات والأجهزة المستخدمة في عمليات الإنتاج.

– الثالث: علاقات الإنتاج وهي توزيع العمل ووضع المالكين وأرباب العمل.

كان ماركس يرى بـــ لا أخلاقية الرأسمالية واستغلالها لطبقة العمال البروليتاريا، فشجع على الثورة وأطلق نداءه المشهور البروليتاريا ستحكم العالم، يا عمال العالم اتحدوا.

الحرب على الرأسمالية والتبشير بالشيوعية:

كان ماركس يرى بـــ لا أخلاقية الرأسمالية واستغلالها لطبقة العمال البروليتاريا، فشجع على الثورة وأطلق نداءه المشهور البروليتاريا ستحكم العالم، يا عمال العالم اتحدوا. حيث كان العمال يعملون لساعات طويلة من اليوم مقابل أجر بخس، فكان الملاك يزدادون ثراء والعمال الفقراء يزدادون بؤسا، وكان ماركس يرى أن الرأسمالية تحمل نهايتها في ذاتها..

فالرأسمالية في زمانه كانت تعتمد وسيلتين: أما الأولى فهي إحلال الآلة محل الإنسان لتقليل المصاريف، وأما الثانية فهي تخفيض أجور العمال، وبناء على هذا يقول ماركس إن البطالة ستعم والقدرة الشرائية ستنخفض حينئذٍ، وبهذا ستثور البروليتاريا وستنهار الرأسمالية، وتسيطر البروليتاريا على الموارد الاقتصادية، ويتحول المجتمع من رأسمالي إلى شيوعي، وتكون الموارد ملكا للكل ويكون لكل فرد موقعه

بحسب قدراته ويتلقى أجرا بحسب حاجاته ويصبح العمل ملكا للشعب.

الحتمية التاريخية ومراحل تطور المجتمع البشري :

أن الماركسية في تحليلها للنظام الرأسمالي والتنبؤ بمستقبل بشري لا طبقات فيه ، التجأت إلى استعراض تطور التاريخ البشري . وبهذا فسرت المادية التاريخية لحركة تطور المجتمع البشري وتقدمه ، بتقدم حركة القوى المنتجة والعلاقات التي تقوم عليها . وطالما كان الإنتاج هو الأساس المادي للحياة الاجتماعية الذي يقرر جميع جوانبها الأخرى ، وهو دائم التطور والتحول. فأنه وحده الذي بإمكانه أن يفسر كيفية انتقال بناء المجتمعات باستمرار من شكل إلى آخر. حيث أن في كل مجتمع يوجد القديم الذي ينهار والجديد الذي يزدهر بشكل أفضل. ولذا فان تاريخ المجتمع البشري ، حسب المادية الماركسية قد عرف خمسة أساليب أنتاج متتابعة ، وكل منها تحمل في طياتها بذور تناقضها . وهي :

١- المشاعية البدائية :

تعد المشاعية البدائية أول نظام اقتصادي اجتماعي في التاريخ، وكانت وسائل الإنتاج التي استخدمها الإنسان بسيطة وبدائية، كما كانت مهارات العمل وخبرة الأفراد ومعرفتهم قليلة جدا . فالحياة الاقتصادية في هذه المرحلة كانت تربط الإنسان مباشرة بالطبيعة، بحيث تركز جهد الإنسان وإنتاجه في صيد الحيوانات واقتطاف الثمار والخيرات التي تجود بها الأرض، فلم يكن يملك آلات ورأس مال ليحول إنتاجه ، بل مجرد أدوات بسيطة كالعصا أو الحجر لتحصيل قوته اليومي، وبالتدريج بدأ الإنسان يدخل تحسينات على أدوات إنتاجه الحجرية والخشبية والعظمية ليحصل بواسطتها على كميات أكبر من المواد اللازمة لتحسين معيشته، وقد تحقق له ذلك من خلال:

- اكتشاف النار الذي سمح له باكتشاف مصادر جديدة للغذاء، وللوقاية من البرد، وكذلك لصنع بعض الأدوات المنزلية من الطين والخشب.
- اكتشاف بعض المعادن كالبرونز والحديد.
- اكتشاف القوس وأدوات الصيد، الأمر الذي زاد من مصادر الغذاء و ساعد على التربية الحيوانات بعد اصطيادها.
- تعلم مبادئ الزراعة والفلاحة.

والملاحظ على النشاط الاقتصادي للمجتمعات البدائية أنه كان قائما على أساس المساواة ومشاركة الرجل والمرأة في العمل معا، حيث ظهر أول تقسيم اجتماعي للعمل حسب الجنس والعمل، فتخصص النساء في تربية الأطفال وجني الثمار وأعمال البيت، بينما تخصص الرجال في الصيد والزرع... ، كما

عرفت المجتمعات البدائية ظهور حرفيين مختصين في إنتاج صناعات معينة كصناعة التعدين والحياكة والحدادة وصنع الأسلحة إلى جانب قسم آخر يختص في الزراعة. ويمكن القول في تلك المرحلة أستبدلت الأدوات الإنتاجية الحجرية ب «أدوات أنتاجية معدنية » وأنبثق عن ذلك نظام المقايضة ، وتبادل السلع . وغدت « العائلة » وحدة إقتصادية مستقلة . كما غدا الأنتساب للأب هو الأساس بدلا من الانتساب للأم . ثم أن ظهور العائلة أدى بدوره إلى ظهور « الملكية الخاصة ». وتزايد انتاجية العمل سمحت بظهور الأستغلال ، أي أمكانية أمثلاك أنتاج الآخرين. ومن ثم تحويل أسرى الحرب ، الى « عبيد ». وبهذا حل نظام الرق ، أو العبودية ، محل المشاعية.

٢- مرحلة العبودية :

يعد نظام الرق أو العبودية، الذي حلَّ محلَّ النظام المشاعي البدائي، أول نظام في التاريخ يقوم على الاستغلال والانقسام الطبقي الإنسان لأخيه الإنسان . وهناك عدة عوامل ساهمت في ظهور هذا النظام الاقتصادي، وأهمها :

- التقسيم الاجتماعي المستمر للعمل.
- ظهور إمكانية العمل الفردي نتيجة تطور وسائل وإنتاجية العمل.
- ظهور الملكية الفردية وما ترتب عنها من علاقات اقتصادية جديدة أخلت بنظام التوزيع المتساوي لمنتوجات العمل.
- بصفة عامة: أدى التبدل الحاصل في بنية المجتمع إلى حتمية تطور ونمو قوى الإنتاج وانحلال العلاقات الإنتاجية للقبيلة البدائية، فحل العمل الفردي محل العمل الجماعي، وحلت الملكية الفردية محل الملكية الجماعية، هذا ما أدى بدوره إلى تغير في منظومة الحقوق والواجبات.

خلال هذا الطور غدت أدوات الانتاج معدنية كالمحراث والمنجل. فأحدث هذا زيادة في إنتاجية العمل الزراعي . ثم تنامي فيه تقسيم العمل والتخصص في الإنتاج الحرفي ، إلى جانب نمو المدن وتطور التجارة وغيرها من مظاهر تبادل السلعة . كما تطورت أنظمة الملكية الخاصة والقوى الإنتاجية .

وكانت العبودية في أولى مراحلها تسمى «العبودية الأبوية» أو العبودية البيتية، وكان عدد الأرقاء قليلاً، وكان السيد مالك الرقيق يشتغل في الأرض مع أرقائه.

استهل أسلوب الإنتاج في نظام الرق تاريخه حين صار استغلال الرقيق هو السائد في عملية الإنتاج، وحين انقسم المجتمع إلى طبقتين متناحرتين: المُسْتَغِلِّيْنَ «الأسياد» والمُسْتَغَلِّين «الرقيق». ويضمُّ مجتمع الرق إلى هاتين الطبقتين فئة الأحرار كالحِرفيين والفلاحين الصغار والتجار والمرابين. وتكَوَّن في ظل هذا النظام المجتمع الطبقي، وأضحت السيطرة السياسية مقصورة على طبقة الأسياد في المجتمع (

علاقات الإنتاج / الشكل).

يمكن إجمال خصائص النشاط الاقتصادي في ظل المجتمع العبودي في النقاط التالية:

– شكلت طبقة العبيد الأساس الاقتصادي لعملية الإنتاج والوسيلة الأساسية للثروات في المجتمع العبودي، فلم تعد المجموعة القبلية تعمل لسد حاجاتها الاقتصادية، بل أصبحت طبقة من المجتمع تعمل من أجل تحقيق فائض بالنسبة لطبقة الأسياد.

– عرفت وسائل الإنتاج تطورا ملحوظا في هذه المرحلة، بحيث اكتشف الإنسان الكثير من الآلات والوسائل البناء والتشييد والزراعة .

– تقسيم العمل على أساس طبقي اجتماعي إلى: عمل جسدي و آخر ذهني، فالعمل الجسدي: تخصص له الأرقاء للإنتاج المادي، فقد اختصوا في أعمال البناء والتشييد والمناجم وشق الطرقات...، في حين كان العمل الذهني من نصيب الأسياد الذين اختصوا بالإدارة وسياسة الفكر ، إلى جانب العمل الحرفي الذي اختص فيه الحرفيين وكذلك النشاط التجاري للمرابين وصغار الفرحين .

– وظهر في ظل نظام الرق تبادل البضائع الذي تحوّل تحولاً تدريجاً إلى تجارة منظمة، ونشأت الأسواق التي تجاوزت حدود الدولة الواحدة، وظهر ما يسمى بالتجارة الخارجية. وقد أدى تزايد كميات الإنتاج من السلع المخصصة للسوق وتوسيع التبادل التجاري إلى تزايد التفاوت في الملكية والثروة على حساب عمل الرقيق، وظلت الأرض وسيلة الإنتاج الرئيسة. واعتمد النشاط الاقتصادي على الزراعة وتربية الماشية مع ظهور الإنتاج الحرفي. ومع تطور التجارة المنظمة ظهرت النقود التي بدأت تحتل مكانة مهمة في اقتصاديات مجتمع الرق .

– القانون الأساسي الذي حكم النظام الاقتصادي العبودي: إن الإنتاج في تلك المرحلة موجه لسد مختلف احتياجات الأسياد المتزايدة باستمرار، وكان يتم عن طريق الاستثمار في العبيد، الذين شكلوا محور كل إنتاج يؤسس القاعدة الجوهرية التي يقوم عليها المجتمع ، وكان من العوامل المهمة في تكريس هذا النظام هو مواقف الفلاسفة والمفكرين الذين كانوا يرون في هذا النظام خلود الطبيعة، فأفلاطون عبر عن هذا النظام قائلا:" الرقيق هو الأداة الحية، في حين أن الأداة هي الرقيق الذي لا حياة فيه" .

٣- المرحلة الإقطاعية (نظام الاقتصاد المغلق):

في هذه المرحلة أو الطور تتطور قوى الإنتاج اكثر مما كانت عليه في مرحلة العبودية من حيث تطور نظام الحرف . وإدخال أساليب إنتاجية جديدة كالطاحونة الهوائية ، تساعد على تطوير الزراعة . كما

أخذت تنمو في هذا الطور – صناعة النسيج والبارود والورق والطباعة ، كما يطرأ نشاط متصاعد في التجارة والصناعة بوجه عام. وخلال ذلك تقوم علاقات الإنتاج على أساس الملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، ثم ارتباط الفلاحين بالأرض والإقطاعيين . وبذلك يغدو الإقطاعيون بمثابة الأسياد ، أو الطبقة الموجهة . في حين يشكل الأقنان ، أو عبيد الأرض، الطبقة الثانية . إلى جانب أمتلاك الإقطاعيين لسلطة التشريع وأجهزه القوة والسياسة .

وعموما تشكل النـظام الاجتماعي والسياسي الأوربي في هذه المرحلة من ثلاثة تنظيمات أساسية طبعت شكل الحياة الاقتصادية وأثرت عليها، هي:

– الكنيسة: مؤسسة وحيدة كان لها أكبر أثر على هذه المرحلة التاريخية في أوربا، كما أنها شكلت عقيدة واحدة صبغت كافة مجالات الحياة من فكر واقتصاد وفن وسياسة، وطبقة واحدة ممثلة في الرهبان كانت لها الزعامة السياسية والاجتماعية على كافة فئات المجتمع.

– الإقطاعية: هي تنظيم سياسي واقتصادي واجتماعي تحكمها طبقة النبلاء أو الطبقة الإقطاعية، تمتلك قطعة أرض تقوم على استثمار أرضها، واستغلال الفلاحين الذين يمارسون النشاط الفلاحي لتلبية حاجيات الإقطاعي وحاجياتهم مقابل حماية الإقطاعي لهم.

– المنظمات الحرفية: طابعها الأساسي كان مزاجاً بين المفاهيم الدينية والاجتماعية والمهنية، وهي عبارة عن منظمات عملت على إيجاد قوانين صارمة تتعلق بالتدرج في المهنة وكيفيتها، كما عملت على تحقيق التماسك و التعاون الاجتماعي بين أعضائها، تدعمه تعاليم الديانة المسيحية، كما أنها تخضع في كل نشاطاتها لتعاليم الكنيسة.